

## الإيكوصوفيا: نحو فلسفة جديدة للبيئة

بلواهم عبد الحليم<sup>1</sup>

<sup>1</sup>جامعة 8 ماي 1945 قالمة

belouahem.abdelhalim@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2023/11/25 تاريخ القبول: 2024/02/21 تاريخ النشر: 2024/03/03

### ملخص:

تعتبر الإيكوصوفيا من أهم الحركات البيئية التي جاءت كرد فعل على النظرة العالمية السائدة للبيئة التي أسستها الحداثة الغربية، وهي نظرة قامت على مركزية الإنسان والنظر إلى العالم على أنه مجرد أجزاء يحتل فيه البشر قمة الهرم البيئي. سعى آرنه نايس عبر منظوره هذا إلى تغيير علاقتنا بالطبيعة، وتقدير حياة الكائنات الأخرى والأشياء كذلك، فما هو غير بشري يتدخل أيضا في تكوين هويتنا وتشكيل مفهومنا للقيم وللخير، فالإيكوصوفيا أو الإيكولوجيا العميقة دعت إلى تغيير جذري يتعلق بإعادة بناء تصورنا للعالم، وهذا ما ذهب إليه فيليكس غاتاري من خلال حديثه عن الإيكولوجيات الثلاث، وبالتالي إيجاد فرص للعيش المشترك بين جميع الكائنات والأشياء الموجودة في البيئة وفق قيم التعاطف والتكافل والاحترام والحوار.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة- البيئة- الإيكولوجيا- الإيكوصوفيا- المركزية الغربية

**Summary** Eco-philosophy, or Eco-sophy, is one of the most important environmental movements that emerged in response to the prevailing global view of the environment established by Western modernity. This view centered around human centrality and saw the world as a collection of parts where humans occupied the top of the environmental pyramid. Arne Naess sought to change our relationship with nature through this perspective, appreciating the lives of other beings and things as well. The non-human also influences the formation of our identity and shapes

our understanding of values and goodness. Eco-sophy or deep ecology called for a radical change related to reconstructing our worldview, as highlighted by Felix Guattari in his discussion of the three ecologies. This approach aims to create opportunities for shared living among all beings and things in the environment

#### مقدمة:

خلق التطور التكنولوجي الذي يعيشه العالم اليوم الكثير من الإشكاليات التي أصبحت تؤرق الإنسان، فبقدر ما أتاحت التقنيات الجديدة للإنسان إمكانية البناء والتطوير، بقدر ما منحته أيضا إمكانية التدمير، والإنسان يعيش في هذه البيئة التي عُرِفَتْ بأنها ذلك البيت الذي نعيش فيه ليس نحن البشر فقط وإنما باقي الكائنات الأخرى التي تميّز عنها الإنسان بالعقل. وفي عصر الأنوار تفاعل الفلاسفة كثيرا بقيمة العقل وقدرته على تحقيق التقدم، لكن هذا العقل أنتج أيضا ما أصبح يهدد البيئة اليوم من أسلحة نووية، ونفايات المصانع، والتلوث مما يجعلنا اليوم نتحدث عن أزمة البيئة إبادة الحياة بدل المحافظة عليها.

وعلى الرغم من أن الفلاسفة أبدوا اهتماما ضئيلا بالقضايا التي تتعلق بالبيئة، بالمقارنة بالقضايا التي تتعلق بالإنسان وسلوكه وعلاقاته بالآخرين، إلا أنه في الآونة الأخيرة طرحت العديد من المقاربات التي دعت إلى إعادة مساءلة تأثير هذه التكنولوجيات على النظام البيئي، وهل يمكن الحديث عن أخلقة العلم وأنسنته من أجل بيئة يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى في تكافل وتفاعل انطلاقا من حاجة كل منهم إلى الآخر، وهذا ما استدعى ظهور مقاربة جديدة حاولت إحياء أو استئناف الحديث عن حلقة مفقودة في مسألة الايكولوجيا وهي "الحكمة" ليصبح لدينا مصطلح الايكوصوفيا حكمة البيت أو حكمة البيئة، فماذا يعني هذا المصطلح؟ وما هي جذوره؟ وما مفاد هذه المقاربة؟ وهل هي كفيلة بتحقيق العيش المشترك بين جميع الكائنات في البيئة؟

## أولاً: ضبط المفاهيم

ونحن بصدد معالجة هذا الموضوع نجد أنفسنا أمام شبكة من المفاهيم التي لها علاقة ببعضها البعض كما تتداخل إلى حد كبير في الموضوع كمفهوم البيئة، المحيط، الايكولوجيا وفلسفة البيئة، ومن أجل فهم أوضح لمفهوم الايكوصوفيا لابد أن نتطرق أولاً إلى هذه المفاهيم:

### 1- البيئة:

في الحقيقة لا يمكن وضع مفهوم دقيق للبيئة رغم شيوع المصطلح، فقد يرتبط مفهومها بجهة المستخدم، أو قد ترتبط بمجال النشاط الذي تستخدم فيه، وقد يتسع مفهومها أو يضيق، فإذا ارتبطت بجهة المستخدم نقول مثلاً البيت بيئة ينشأ فيها الطفل، والمدرسة بيئة، والمجتمع بيئة، ثم يتسع المفهوم فنقول أن الكرة الأرضية بيئة والكون ككل بيئة، وإذا ارتبطت بنشاط معين فنحن نقول مثلاً بيئة ثقافية، بيئة زراعية، بيئة تعليمية، أو بيئة سياسية، لذلك قد يتعذر وضع مفهوم دقيق وشامل لهذا المصطلح (رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، 1979، ص 14)

والبيئة الطبيعية هي كل ما يحيط بالإنسان من نباتات وجبال وتراب ووديان وانهار وبحار وعناصر المناخ المختلفة من أمطار وبرودة وحرارة، وجدت هذه البيئة للإنسان بخصائص كفيلة بأن تجعلها قادرة على توفير الشروط الأساسية للحياة المناسبة للإنسان والكائنات الحية الأخرى التي تشاركه هذه البيئة (عادل محمد المصري، 2015، ص 5)

### 2- الإيكولوجيا L'ecologie

أما العلم الذي يهتم بدراسة البيئة فهو الإيكولوجيا.

Ecology (ee-Kol-oji) علم البيئة أو العلاقة بين الكائنات الحية والبيئة

Ecological ee-ko-loj-ikal كل ما هو بيئي

Ecologically من الناحية البيئية، بيئياً

مشتق من اللفظة اليونانية oikos =بيت + logy =علم ( 334 p 2006

( Mohamed Badawi

ليكون المعنى العام هو علم البيت

وبوجه عام، فإن الإيكولوجيا علم يهتم بدراسة العلاقات الموجودة بين مختلف الكائنات الحية وبيئتها التي تعيش فيها، يتخذ علم البيئة من عناصر البيئة موضوعا له كالأنهار والبحار، والصحراء والغابات، المجال الجوي، والبحري والبري أي كوكب الأرض ككل هذا النطاق الصالح للعيش لهذه المنظومات الرئيسية والفرعية ( مايكل زيمرمان، 2006 ، ص7)

### 3- أخلاقيات البيئة:

في الواقع، لم يظهر الحديث عن أخلاق البيئة إلا بعد عام 1973، عندما نشر الفيلسوف الاسترالي بيتر سينغر مقال له تحت عنوانه "تحرير الحيوان" وذلك في مجلة The New York Review of Books وتزامن مع هذا الإنتاج الفكري في مجال أخلاقيات البيئة ظهور مقال آخر للعالم والمفكر النرويجي آرني نايس تحت عنوان "الضحل والعميق، حركة الايكولوجيا بعيدة المدى: خلاصة". وتعززت هذه الأعمال بما قدمه المفكر الاسترالي ريتشارد سيلفان في المؤتمر الخامس عشر في بلغاريا حيث تساءل: "هل ثمة حاجة إلى أخلاق جديدة، بيئية" (مايكل زيمرمان، 2006 ، ص25) كانت هذه البوادر الأولى للاهتمام بهذا الحقل من الدراسات، ولم يتوقف الأمر هنا، فقد تطورت هذه الدراسات واتسع نطاقها رغم تركيز اهتمامها بالبيئة، تأسست أول مجلة "أخلاقيات البيئة" 1978، مع ظهور دراسات أخرى رغم اختلافها حول المشكلات البيئية والحلول المقترحة لحلها إلا أنها اهتمت بالمسألة الجوهرية التي تتعلق بدعوة الإنسان نحو إعادة تشكيل علاقته ببيئته، والسعي نحو إيجاد وسائل من أجل تعزيز احترام البيئة، وهذا ما دعا إليه تقرير منظمة اليونسكو 1997 "مستقبلنا

المشترك" والذي ساهم في تطوير وبناء دعائم للعلاقة بين البيئة والتنمية (محمد أمين بن جيلالي، 2021 ص ص 30، 31)

ولأن الفلسفة في الواقع هي ما يعيشه الانسان في حياته، فإن العودة الى الاهتمام بالبيئة يعد من مقتضيات هذا العصر، وهي فرصة لكي يصبح الانشغال الفلسفي من واقع الانسان "لأن البيئة هي موضوع الساعة (موضئة) phénomène de mode... فالبيئة موضوع للتفكير الفلسفي استقطب الأنظار والعقول، لأن البيئة بما هي موضوع فلسفي يمكنها ان تكون مدخلا هاما من بين مداخل أخرى لربط الفلسفة بواقع الناس والأشياء. (محمد جديدي، 2021، ص 186)

إن التغيرات التي أصبح يعيشها الكوكب في الآونة الاخيرة تطرح مشكلات حقيقية لا بد من جعلها في صميم اهتمام ليس العلماء والفلاسفة وحسب، وإنما كل شخص لا بد ان يحمل على عاتقه التزاما أخلاقيا تجاه كوكبه، ورغم هذا، إلا أن الذين نهوا للمخاطر التي تواجه البيئة انقسموا إلي موقفين: فهناك من استغل هذه القضية وجعل منها سبب لوجوده، وهم جماعة من العلميين الذين جعلوا من خطاباتهم أداة للترويج للجوانب المظلمة من تطبيقات العلم على البيئة وأن الكارثة وشيكة وأن التقنيات العلمية المتطورة باتت محل تساؤل وتشكيك، فهناك العديد من الامراض التي أصابت الكائنات الحية بمختلف أنواعها، هناك التلوث الذي ضاعف الإصابة بالأمراض الخطيرة، وصف كريستيان جيراندو Christian Gerondeau في كتابه "الايكولوجيا، الاحتيال الكبير" هذه الفئة "وقد ملأت خطاباتهما بمعلومات الدمار الهائل الوشيك وجعلت من الايكولوجيا قضية وجودها الى حد اعتبارها أيام العالم معدودة وهي ونحن مثل ركاب تيتانيك نغرق في الليل المظلم ونرقص ونلهو بأنانية وتعجرف أولئك الذين يظنون أنفسهم سادة أنفسهم والكون) محمد جديدي، 2021 ص

## بلواهم عبد الحليم

إلا أن كلود أليغر Claude Allégre يعد من أهم الباحثين في مجال الإيكولوجيا وأهم من طرح هذه المسألة بكل جدية وعمق فكري، فهناك فعلا أزمة بيئية يواجهها الكوكب ليست وشيكة ولكنها بدأت فعلا ولا يمكن تجاهلها، وأرجع جزء كبير من هذه الأزمة الى عدم اهتمام العلماء والباحثين وحجهم لعدة حقائق تتعلق بها " وإهمالهم لجدولة الأولويات كنقص الغذاء والماء الذي يفتك بآلاف البشر يوميا بينما هم أي الباحثون وهم موزعين عبر المعمورة يتقلون مبالغ ضخمة العشر منها يكفي لسد الحاجات الضرورية لملايين البشر(محمد جديدي، 2021ص 191 )

وإضافة إلى هذه المبادرات الأولية التي لفتت الانتباه إلى إنشاء علاقة جديدة بين الإنسان وبيئته بمختلف عناصرها والتعامل معها وفق معايير أخلاقية وإنسانية جديدة مغايرة لما كان سائدا من قبل، هناك مقاربات أخرى واصلت الاهتمام بالبيئة وفق منظور إيتيقي جديد.

ثانيا: الإيكوصوفيا، أو من المركزية الإنسانية إلى المركزية الايكولوجية

أ- في جذور المصطلح:

حسب الموسوعة البريطانية، ترجع الجذور الأولى للفلسفة البيئية الى حركة عرفت ب"الإيكولوجيا العميقة" Deep Ecology وهو مصطلح صاغه الفيلسوف النرويجي "آرني نايس" Arne Naes (1912-2009) عام 1973، ونهى حركة اهتمت بالإصلاح البيئي في ظل وجود معايير فلسفية ، والتي تضمنت أساسا تحدي الفلسفة السائدة والافتراضات الأيديولوجية حول علاقتنا بالعالم الطبيعي، وكانت النظرة السائدة للعالم تسمى "النيوتونية" وأحيانا "الديكارتيية" والتي كانت خلال الثورة العلمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما سبقتهما مقاربات أخرى في الفلسفة الكلاسيكية اليونانية والمسيحية ( Edward Craig,1998, p2317 )

ومن المعروف أن تفسير نيوتن Isaac Newton (1642-1727) الميكانيكي للعالم قد سيطر على الفكر لمدة طويلة من الزمن واعتقد الكثيرون أن تصوره يعكس

## الإيكوصوفيا: نحو فلسفة جديدة للبيئة

حقيقة العالم "فهو تصوير صادق مطلق الصدق للعالم، وأنه صورة واضحة للواقع، حيث ينتهي تحليل كل شيء إلى اندفاعات الذرات المادية والمواقف التي تنشأ عن ذلك (إ.م بوشنسكي ، ص 35) لكن هذا التفسير الفيزيقي للعالم انجرت عنه الكثير من الانزلاقات وبدأ المفكرون في التشكيك في مدى صدقه "فمن وجهة نظر نيوتن يتكون العالم الطبيعي من ذرات، منفصلة وجسيمات أو وحدات توجد بشكل مستقل عن بعضها البعض، إنه مثل آلة متكونة من ركام لا يتم تجميعه معا عن طريق أي حركة ديناميكية جوهرية متبادلة، بل بطريقة ميكانيكية بحتة من خلال قوانين الحركة الخارجية العمياء" ( Edward Craig , 1998,p2317 )

وإضافة إلى نظرية نيوتن، ساد أيضا التفسير الديكارتي للعالم، والذي قام هو الآخر على تقسيم العالم إلى ما هو مادي وما هو عقلي "فقال بوجود درجتين من الوجود العقل والمادة" (إ.م بوشنسكي ، ص 24) فنظرة كل من نيوتن وديكارت إلى العالم قامت على التجزئة والانقسام إلى وحدات متعارضة، فالعالم الطبيعي منقسم إلى ذرات كما قال نيوتن، والعقل منفصل عن الجسد، الله كروح مفارق لعالم المادة، وبذلك يقوم موضوع المعرفة انطلاقا من انفصاله أو تفككه الصارم عن الأشياء، كذلك الأمر نفسه بالنسبة إلى المجتمع الذي غالبا ما ينظر إليه على أنه مجموع منفصل والأفراد وحداته الرئيسية، وبذلك ينصرف الفكر إلى النظر في الأجزاء عند تحليله للمواضيع (Edward Craig ,1998 p2318)

وخلافا لهذه النظرة الاختزالية السائدة للعالم، فقد حاولت الإيكوصوفيا تطوير منظور آخر يهدف بالأساس إلى تغيير نظرتنا إلى العالم وإعادة تشكيل علاقتنا به، وهذا ما حاول آرني نايس توضيحه في مقارنته هذه.

### ب- دلالات المصطلح:

الإيكوصوفيا *écosophie* هو مصطلح يشير إلى دراسة المشكلات المشتركة بين الأيكولوجيا والفلسفة (Charlotte Luyckx ,2020,p9) وهي إحدى تيارات

## بلواهم عبد الحلیم

الفلسفة البيئية التي تتضمن ثلاثة فروع وهي: الإيكولوجيا العميقة deep ecology أو الايكوصوفيا التي بشر بها نايس، والايكولوجيا النسوية ecofeminism والايكولوجيا الاجتماعية social ecology وهناك تقارب في وجهات النظر بين هذه الفروع الثلاثة فكلها نسبت الأزمة البيئية إلى فكرة مركزية الإنسان في الفكر الغربي، لكنها قدمت حلولاً للأزمة بشكل مختلف (Edward Craig ,1998,p2319)

فالإيكولوجيا النسوية حركة تعكس اهتمامات نسوية بالبيئة، تتميز هذه الاهتمامات بكونها متنوعة لا تحمل موقفاً واحداً، لكنها تتفق حول ثلاثة دعائم قامت عليها الإيكولوجيا النسوية بشكل عام وهي: أولاً هناك علاقة مقصودة بين الهيمنة اللامشروعة على النساء وعلى المهمشين من الافراد وعلى الآخر غير البشري أي الحيوانات والنباتات والطبيعة، ثانياً إن فهم العلاقة بين الآخر البشري (النساء) وبين الطبيعة هو أمر غاية في الأهمية، ثالثاً إن الفكرة الجوهرية في الإيكولوجيا النسوية هي تغيير بنيات الهيمنة والسيطرة واستبدالها بممارسات عادلة (مايكل زيمرمان ،2006، ص 11)

أما الإيكولوجيا الاجتماعية فهي إحدى تيارات الفلسفة البيئية، عبّرت عن اهتمامها بالأزمة البيئية التي أصبح يعيشها العالم وأرجعتها إلى عوامل ومشكلات اجتماعية حيث لا يتسنى لنا فهم آلام الطبيعة خارج إطار المجتمع، فكانت السبّاقة للدعوة إلى تغيير جذري في طريقة تفكير المجتمع نحو الطبيعة من أجل الخروج من هذه الأزمة "يعني هذا التغيير تحويلاً بعيد المدى لذهنية الهيمنة السائدة إلى ذهنية تكاملية نرى فيها دورنا في العالم الطبيعي دوراً خلاقاً، مسانداً ومُقَدِّراً بعمق للحياة غير البشرية حق قدرها" (مايكل زيمرمان ،2006، ص ص 238،239)

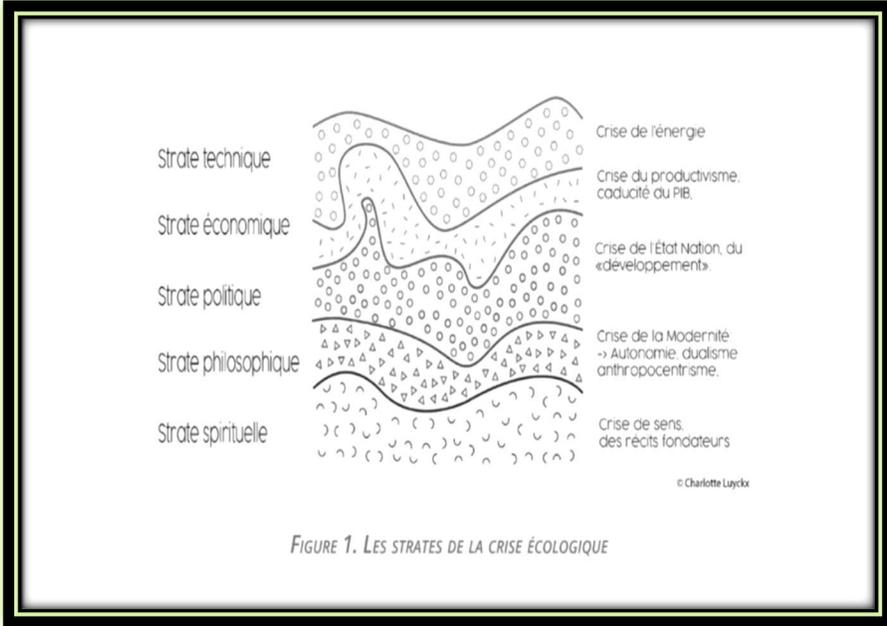
ثالثاً: الايكوصوفيا عند آرني نايس

يعتبر آرني نايس من بين الفلاسفة الأوائل الذين اهتموا بالمشكلة الايكولوجية، ومصير الكوكب في ظل تنامي المجتمعات الصناعية والحاجة المستمرة إلى التقنية

"حاول في بحثه توطيد الحدوس والاستنتاجات العلمية والفلسفية للثورة البيئية المتمركزة إيكولوجيا في الستينيات والتي كانت كما يزعم نايس متماثلة في جميع أنحاء العالم، وهذه تشمل الترابطية الداخلية للمنظومات البيئية والمساواتية الإيكولوجية، وتقدير قيمة التنوع والتعايش، والتعقيد الإيكولوجي" (مايكل زيمرمان ، 2006، ص 242)

بدأ نايس في استخلاص فلسفته الإيكولوجية في أواخر الستينيات، ومتأثر بكل من غاندي (1869-1948) Gandhi وسبينوزا (1632-) Baruch Spinoza (1677) وقد أطلق عليها "الحكمة الإيكولوجية T وهي تسمية جاءت نسبة إلى تفيرغاستين Tvergastein وهو اسم كوخه الواقع على قمة جبل بين أوسلو وبرغين، تقوم الحكمة الإيكولوجية عند نايس على مبدأ "تحقيق الذات" الذي يشير إلى الطبيعة بأكملها أو "الطاو" the Tao وكل فرد يقطن هذه الطبيعة سواء كان من البشر أو من غيرهم من الأفراد الأخرى في الطبيعة يحقق ذاته (مايكل زيمرمان ، 2006، ص 243)

أفرز المجتمع الصناعي اليوم رغبة متزايدة في المنافسة والربح المادي مما أدى إلى استغلال الطبيعة بأفزع الطرق "على مدار خمسين عاما الماضية، أحدث الإنسان تغييرات كبيرة على مستوى النظم البيئية بشكل متزايد أكثر من أي فترة مماثلة في تاريخ الإنسان من أجل تلبية الحاجات المتزايدة على الغذاء والمياه العذبة، والأخشاب والمعادن والطاقة وهذا ما أدى إلى خسائر كبيرة في التنوع البيولوجي على وجه الأرض" (Alain Ponsoero , Laurent Dabouineau ,2010,p9)



تبدو الصورة وكأنها لعملية حفرية في طبقات الأرض، ولكنها في الواقع ليست كذلك، وإنما تمثل مختلف مستويات الأزمة الإيكولوجية المعاصرة التي أفرزتها مجموعة معقدة من العوامل المتداخلة، فهناك العامل التكنولوجي الذي أدى إلى أزمة في الطاقة، وعامل اقتصادي أفرز أزمة في الإنتاج، وهناك العوامل السياسية التي تتعلق بأزمة الدولة الأمة، أما المستوى الفلسفي فيتعلق بأزمة الحداثة خاصة مشكلة مركزية الإنسان، وهناك عامل الروحي الذي يتعلق بأزمة المعنى التي أصبح يعيشها الإنسان اليوم.

أصبح هناك خيارا يفرض نفسه على الإنسان بسبب عدم مسؤوليته، التدخلات البشرية في الطبيعة تتزايد بشكل رهيب مهددة الدورات الطبيعية في البيئة وتقود إلى عواقب وخيمة لا يمكن النجاة منها، فالיום أصبح معدل انقراض الأنواع أسرع من 100 إلى 1000 مرة من المعدل الطبيعي للانقراض، ما جعل البعض يتحدث عن الانقراض السادس للأنواع على وجه الأرض وهو أخطر من الأنواع الخمسة الأولى، فوعي السلطات أو المجتمع بتغيير المناخ ليس هو نفسه الوعي بعواقب

( Alain Ponsero , Laurent الطبيعة في البيولوجي ( Dabouineau,2010,p9)

وأمام هذا المخاطر التي باتت تواجه البيئة، تهض المقاربة الايكوصوفية لنايس من الإيمان بضرورة تغيير، أو إعادة تشكيل علاقة الإنسان بالبيئة، لذلك طور المنظور الايكوصوفي مجموعة من المفاهيم التي من شأنها إلغاء التراتبية التي أسستها مركزية الإنسان عبر التاريخ وتقوقع الإنسان حول ذاته وإقصاء كل ما غير إنساني، فالعالم لا يجب النظر اليه على انه مجزأ الى مجموعة من الاجزاء المستقلة عن بعضها البعض والتي يتميز بعضها بمكانة أعلى من بعضها الآخر الذي يقع في مكانة دون ذلك، جوهر النظرة الايكوصوفية أن ما هو غير إنساني على هذا الكوكب له دخل ودور في تشكيل هويتنا وغاياتنا ومصالحنا وبالتالي مفهومنا للخير، والنظر إلى الطبيعة في حد ذاتها، وليست مجرد مخزون للموارد البشرية، فهذا المنظور هو صديق للبيئة وليس منفصلا عنها أو متعال عليها، لابد من السعي نحو فهم "الآخر" وفق مفاهيم "التعاطف" و"التقارب" أي الشعور بالقرابة من خلال الحوار Edward ( Craig,1998,p2318)

ركزت الايكوصوفيا على مفهوم "العلاقة" أي العلاقات التي تتشاركها كل الكائنات والموجودات على وجه الكوكب، فهناك "نظام من العلاقات" غير قابل للتجزئة أو الفصل، أن يشعر الإنسان بصلة القرابة بينه وبين الموجودات الأخرى، فلا يمكن إلغاء أو إقصاء كل ما هو غير إنساني بحجة أنه لا يمتلك عقل فالايكولوجيا العميقة قدّمت نفسها "كحركة راديكالية تتألف من مجموعة من المبادئ التي يمكن أن يتفق حولها كل من يعتبر نفسه ضمن علماء الايكولوجيا العميقة، هذه المبادئ تضمن في الماضي مقترحات أو افتراضات تتعلق بان جميع الكائنات لها حق متساو في العيش والازدهار، وان رفاهية وتطور الحياة غير البشرية على الأرض لها قيمة جوهرية" ( Edward Craig,1998,p2319)

## بلواهم عبد الحلیم

وبالتالي، فإنه بالنسبة إلى ناييس لا بد أن يتم تحديد سلوكات جديدة لتعامل الإنسان مع بقية العناصر الأخرى التي تتضمنها بيئته لذلك نجده يطرح التساؤل التالي: "هل نلتزم بتنفيذ القليل من الانضباط الذاتي ووضع خطة معقولة للمساهمة في الحفاظ على ثراء الحياة وتنميته على الأرض؟ أم أننا سنستمر في تبديد فرصنا والتخلي عن التنمية لصالح قوى عمياء؟" ( Alain Ponsero , Laurent Dabouineau,2010,p9)

بُنيت النظرة الكلاسيكية للعالم على فكرة مركزية الإنسان وهذا ما أسست له الحداثة الغربية، بداية من العصر اليوناني القديم، هذا المفهوم الذي يضع الإنسان في أعلى مرتبة بالنسبة للعناصر الأخرى الموجودة في الطبيعة، فأصبح من السهل الحديث عن كائنات عاقلة وأخرى تفتقد إلى العقل مما يجعل العلاقة بين الإنسان وغيره من الكائنات هي علاقة تصادمية وليست علاقة تكافل أو تكامل "طوّر أرسطو مفهوم مركزية الإنسان مما يضع هذا الأخير في مركز التفكير الذي يسمح له بدراسة وفهم العالم، أو بعبارة سيلفان Sylvan "الشوفينية الإنسانية" 1998" (Op-Cit, p 10)

غاية الايكوصوفيا لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى النقاط الثمانية التي ركزت عليها وهي:

1. للحياة البشرية، كما للحياة غير البشرية قيمة بحد ذاتهما مستقلة عن أي موقف لأي جهة ولأي شخص ينظر للطبيعة على أنها مخزون لموارده.
2. تنوع اشكال الحياة ضروري وله قيمة في حد ذاته.
3. ليس لأي شخص الحق في المساس بهذا التنوع بأي شكل من الاشكال إلا من أجل تلبية الحاجات الحيوية vital needs.
4. ترعرع الحياة البشرية وثقافتها يتوافقان مع عدد سكان أصغر، وإن ترعرع الحياة غير البشرية يتطلب عدد سكان أصغر.
5. التدخل البشري في العالم غير البشري واستغلاله له في تزايد مستمر.

6. لذلك من الضروري تغيير السياسات، لأن تغيير السياسات يعني تغيير في البنى الاقتصادية والتقنية والأيدولوجية، وهذا ما يخلق حالة تختلف بشكل جذري عن الوضع السابق.

7. لا بد أن يكون هناك تغيير أيديولوجي يقدر نوعية الحياة أكثر من أي شيء آخر.

8. من يلتزم بالنقاط السابقة عليه إلزام بضرورة انجاز التغييرات اللازمة. (محمد جديدي، 2021 ص 179)

سعى ناييس إلى إحداث ذلك التحول الذي طمح إليه عبر منظوره هذا المتمثل في الإيكوصوفيا وهو التحول من المركزية الإنسانية التي سمحت للإنسان بالنظر إلى باقي الكائنات والأشياء نظرة دونية بحيث غدا تعامل المجتمعات مع الطبيعة يتم انطلاقا من نظرة وجهة نظر الإنسان إليها، لذلك فالإيكوصوفيا "لا تسعى إلى إصلاح سطحي للمجتمع الحالي، ولكن إعادة توجيه جوهرية لحضارتنا بأكملها" (Alain Ponsero , Laurent Dabouineau, 2010, p11)

#### رابعا: غاتاري والإيكولوجيات الثلاث

في الواقع، امتدت فكرة الإيكوصوفيا لـ ناييس مع الفيلسوف والمفكر الفرنسي فيليكس غاتاري Félix Gattari (1930-1992) وهذا ما نجده في كتابه Les trois écologies الذي رأى من خلاله أن الإيكوصوفيا هي نقطة التقاء أو تقاطع لهذه الإيكولوجيات الثلاث التي من خلالها يمكن الاشتغال على ما هو عقلي متعلق بالفرد، وما هو اجتماعي وما هو بيئي وهي:

الإيكوصوفيا العقلية والتي تتعلق باختراع أشكال جديدة من "الذاتية" مختلفة عن ذاتية الفرد الرأسمالي، أي العمل على انتاج ذاتيات جديدة مبدعة بإمكانها اختراع اقاليم جودية جديدة

## بلواهم عبد الحليم

الايكوصوفيا الاجتماعية l'écosophie sociale والتي تهتم بإعادة تشكيل علاقات انسانية على جميع مستويات الحياة الاجتماعية، بناء قيم جديدة، وممارسات ميكروسياسية وميكرو اجتماعية جديدة، أي ابتكار حياة اجتماعية جديدة

ايكوصوفيا بيئية L'écosophie environnementale ويعني بها غاتاري ايكوصوفيا مناوئة للرأسمالية وما تنتجه من سلع وافراد معزولين، لكن لا يمكن ان يقتصر الامر هنا على حركة بيئية معينة، لان الايكوصوفيا حركة عالمية فهي حركة نضال وتحرر وخلق لأقاليم وجودية جديدة صالحة للسكن (أم الزين بن شيخة المسكيني، 2017)

لا يمكن لهذه الايكولوجيات الثلاث أن تكون فعالة ما لم تتوحد مع بعضها لتستحيل إلى ممارسات في الواقع فتغيره، وهو تغيير بالنسبة إلى غاتاري يتم على مستويات مختلفة من الفرد إلى المجتمع إلى البيئة أي إقامة نوع من التوازن بين الفرد والمجتمع والبيئة.

### خاتمة:

خلاصة القول، إن ما سعت إليه الايكوصوفيا هو إحداث تغيير عميق وجذري فيما يتعلق بتصورنا للعالم، وتغيير مفهومنا "لعلاقتنا" نحن البشر ببقية الكائنات والأشياء في الطبيعة.

ما حاول نايس قوله هو ان الانسان ليس في القمة وبقية الاشياء في الاسفل، الغرض هو إلغاء هذه التراتبية التي أسست لها الحداثة الغربية، وبالتالي إعادة تشكيل وبناء فهمنا لعلاقتنا بالآخر، وتقدير الحياة واحترام تنوعها.

الايكوصوفيا لم تكتفي بالحديث عن الأزمة البيئية والحلول السطحية، وإنما تغيير طرق تفكير الإنسان بالطبيعة، فهي ليست مجرد مخزون للموارد يمكن الاستيلاء عليه وقتما يشاء، وبالتالي مراجعة الثقافة التي جعلت الإنسان يفكر بهذه الطريقة.

## الإيكوصوفيا: نحو فلسفة جديدة للبيئة

واصل غاتاري مجهودات نايس فأدرك أن الحواجز التي تقف أمام تحقيق الإيكوصوفيا كمنظور عالمي جديد متنوعة، لذلك اقترح ثلاث إيكولوجيات تعمل على مستويات ثلاثة، العقل والمجتمع والبيئة.

تتوافق نظرة كل من نايس وغاتاري في أن كتابات كل منهما عبارة عن مقاومة لما آل إليه المجتمع الرأسمالي وما خلفه من تركيز على الربح المادي واستغلال الطبيعة بأفطع الطرق والوسائل، وبالتالي كلاهما دعا إلى خلق طرق للعيش المشترك بين الإنسان والآخر وفق قيم الاحترام والحوار والتساوي في الحق في فرص الازدهار والتطور.